تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المومنين يعني يتخذون اليهود اولياء وانصارا وبطانة من دون المومنين
وذلك ان المنافقين كانوا يقولون ان محمدا لا يتم امره فتولوا اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين ايبتغون عندهم
العزة يعني يطلبون من عند اليهود القوة والمنعة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فان العزة لله جميعا
يعني فان القوة والقدرة والغلبة لله جميعا وهو الذي يعز اولياءه واهل طاعته كما قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله
وللمومنين وقد نزل عليكم يعني يا معشر المسلمين في الكتاب يعني القران ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزئ بها
قال المفسرون الذي انزل عليهم في النهي عن مجالستهم هو قوله تعالى في سورة الانعام واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا
فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وهذا نزل بمكة لان المشركين كانوا يخوضون في القران ويستهزؤن به في مجالستهم
ثم ان احبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون اليهم ويخوضون معهم في
الاستهزاء بالقران فنهى الله المومنين عن القعود معهم بقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره يعني حتى ياخذوا في
حديث اخر غير الاستهزاء بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل في هذه الاية كل محدث في الدين
وكل مبتدع الى يوم القيامة انكم اذا مثلهم يعني انكم يا ايها الجالسون مع المستهزئين بايات الله ورضيتم بذلك
فانتم وهم في الكفر سوا قال العلما وهذا يدل على ان من رضي بالكفر فهو كافر ومن رضي بمنكر وخالط اهله كان في الاثم بمنزلتهم
اذا رضي به وان لم يباشره فان جلس اليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له وانما جلس على سبيل التقية والخوف
فالامر فيه من المجالسة مع الرضى وان جلس مع صاحب بدعة او منكر ولم يخض في بدعته ومنكره فيجوز الجلوس مع
الكراهة وقيل لا يجوز بحال والاول اصح ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا اي انهم لما اجتمعوا في الدنيا
على الاستهزاء بايات الله وكذلك يجمعهم في عذاب جهنم يوم القيامة قوله عز وجل الذين يتربصون بكم نزلت في المنافقين
والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خير او شر فان كان لكم فتح من الله اي ظفر على عدو وغنيمة تنالونها منهم
قالوا يعني المنافقين لكم الم نكن معكم على دينكم وفي الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة وان كان للكافرين
نصيب اي دولة وظهور على المسلمين قالوا يعني المنافقين للكفار الم نستحوذ عليكم الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة
يقال استحوذ على فلان اي غلب عليه والمعنى الم نغلبكم ونتمكن منكم ومن قتلكم واسركم ثم لم نفعل ذلك وقد بعثنا
الم نغلبكم على رايكم ونمنعكم من المومنين يعني من صلاتهم والدخول في دينهم وقيل معناه الم ندفع عنكم المومنين
بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا اياكم باخبارهم واسرارهم فهاتوا نصيبا مما اصبتم منهم ومراد المنافقين اظهار المنة على
الكفار **فان قلت** لم سمى ظفر المومنين فتحا وسمى ظفر الكافرين نصيبا **قلت**
تعظيما لشان المومنين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المومنين امر عظيم تفتح له ابواب السما حتى ينزل النصر على
المسلمين واما ظفر الكفار فما هو الا حظ دني ونصيب خسيس لا يبقى منه الا ما نالوه في الدنيا ولهم في الاخرة
العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذي نالوه من المسلمين فالله يحكم بينكم يوم القيامة يعني الفريقين فريق المومنين
وفريق المنافقين والمعنى انما وضع السيف عن المنافقين في الدنيا لاجل اكرامهم بل اخر عذابهم الى يوم القيامة
ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا وفيه قولان احدهما وهو قول علي بن ابي طالب وابن عباس ان المراد به في القيامة
عطف على قوله فالله يحكم بينهم يوم القيامة روي ان رجلا سال علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن هذه الاية ولن
يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا والقول الثاني ان هذا في الدنيا والمعنى ان حجة المومنين غالبة في الدنيا
على الكافرين وليس لاحد ان يغلبهم بالحجة وقيل معناه ان الله لم يجعل للكافرين على المومنين سبيلا بان يمحو دولة
المومنين بالكلية ويستبيحوا بيضتهم فلا يبقى احد من المومنين وقيل معناه ان الله لا يجعل للكافرين على المومنين
سبيلا بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة ويتفرع على ذلك مسايل من احكام الفقه منها ان الكافر

لايرث

لا يرث المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الاية ومنها ان الكافر ليس له ان يشتري
عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمي بدليل هذه الاية قوله تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم يعني يعاملون
الله ويجازيهم على خداعهم وقيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يظهرون له الايمان ويبطنون
له الكفر وهو خادعهم يعني والله يجازيهم بالعقاب وقيل انهم يعطون نورا يوم القيامة كما يعطى المومنون فيمضي المومنون
بنورهم على الصراط ويطفى نور المومنين واذا قاموا الى الصلاة يعني المنافقين قاموا كسالى يعني متثاقلين وسبب
هذا الكسل انهم يستثقلونها لانهم لا يريدون بفعلها ثوابا ولا يريدون بها وجه الله عز وجل ولا يخافون على تركها
عقابا لان الداعي الى فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور يراءون الناس يعني انهم لا يقومون
الى الصلاة الا لاجل الريا والسمعة لا لاجل الدين ولا يرون انها واجبة عليهم قال قتادة والله لولا الناس
ما صلى منافق ولا يذكرون الله الا قليلا قال ابن عباس انما قيل ذلك لانهم يفعلونها ريا وسمعة ولو ارادوا بذلك
القليل وجه الله لكان كثيرا وقيل لان الله لم يقبله ولو قبله لكان كثيرا وقيل المراد بذكر الله الصلاة والمعنى
انهم لا يصلون الا قليلا لانهم متى لم يكن معهم احد من المومنين فلا يصلون واذا كانوا مع المومنين يتكلفون
فعلها مذبذبين بين ذلك يعني متحيرين مترددين في الكفر والايمان لانهم ليسوا مع المومنين المخلصين ولا مع
المشركين المصرحين بالشرك وهو قوله تعالى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء يعني ليسوا من المومنين حتى يجب لهم ما يجب
للمومنين وليسوا من الكفار فيوخذ منهم ما يوخذ من الكفار ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يعني طريقا الى الهدى
ق عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العايرة بين الغنمين تعير الى هذه
مرة والى هذه مرة قوله كمثل الشاة العايرة بالعين المهملة ومعناه المتحيرة المترددة لا تدري لاي الغنمين
تتبع ومعنى تعير تتردد وتذهب يمينا وشمالا مرة الى هذه ومرة الى هذه لا تدري الى اين تذهب وهذا مثل
المنافق مرة مع المومنين ومرة مع المنافقين او ظاهره مع المومنين وباطنه مع الكافرين قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المومنين لما ذم الله عز وجل المنافقين بقوله مذبذبين بين
بين ذلك نهى الله المومنين ان يتخلقوا باخلاق المنافقين بقوله لا تتولوا الكفار من دون اهل ملتكم ودينكم
فتكونوا كمن اوجبت لكم النار من المنافقين والسبب في هذا النهي ان الانصار بالمدينة كان لهم من يهود بني
قريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يا رسول الله من نتولى فقال المهاجرين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم
سلطانا مبينا يعني اتريدون ايها المتخذون الكفار اولياء من دون المومنين فتستوجبوا بذلك
النار ثم بين مقر المنافقين من النار فقال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار يعني في الطبق الذي في
قعر جهنم والنار سبع دركات بعضها فوق بعض سميت طبقات جهنم دركات لانها متداركة متتابعة وقيل
الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل هي توابيت من حديد مقفلة عليهم في
النار **فان قلت** لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر **قلت**
ان المنافق مثل الكافر في الكفر وزيادة وهو ضم الى كفره نوعا اخر من الكفر واخبث منه وهو الاستهزا بالاسلام
والمسلمين وافشا اسرار المسلمين ونقلها الى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين اشد عذابا من الكفار
والمنافق من اظهر الايمان وابطن الكفر وقيل هو الذي يصف الاسلام بلسانه ولا يعمل بشرايعه ولا يتقيد بقيوده
ولا يدخل تحت احكامه واما تسمية من ارتكب ما يفسق به منافقا فللتغليظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان
فان هذه الخصال صفات المنافقين فمن فعلها فقد تشبه بالمنافقين وقوله تعالى ولن تجد لهم نصيرا

Copyright © King Saud University